بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به ﴿وحاق بهم﴾ أي احاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي يكذبون ويستعبدون وقوعه ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ اي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ قال الله تبارك وتعالى : ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه حين قال ﴿واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ وهكذا قال تعالى ههنا ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أي فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى : ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ .

سورة فصلت

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى : ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ وقوله ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿كتاب فصلت آياته﴾ أي بينت معانيه وأحكمت احكامه ﴿قرآناً عربياً﴾ أي في حال كونه قرآناً عربياً بيناً واضحاً فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى : ﴿كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ اي هو معجز من حيث لفظه ومعناه ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وقوله تعالى : ﴿لقوم يعلمون﴾ أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون ﴿بشيراً أو نذيراً﴾ أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين ﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئاً مع بيانه ووضوحه ﴿وقالوا قلوبنا في أكمة﴾ أي في غلف مغطاة ﴿مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر﴾ أي صمم عما جئتنا به ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فلا يصل إلينا شيء مما تقوله ﴿فاعلم إننا عاملون﴾ أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك ، قال الإمام العالم عبد ابن حميد في مسنده : حدثني ابن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الزيال بن حرملة الأسدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله فقال أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله ﷺ فقال إن كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبدت وإن كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً وان في قريش كاهناً والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ «فرغت» قال نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم- حتى بلغ - فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾

فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا، فقال رسول الله ﷺ «لا» فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال ما تركت شيئاً ارى انكم تكلمون به إلا كلمته ، قالوا فهل اجابك؟ قال نعم لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قاله غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة . وهكذا رواه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن ابي شيبة بإسناده مثله سواء ، وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشيء عن الزيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث إلى قوله ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم ، فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت الى محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة وأقسم ان لا يكلم محمداً أبداً وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى: ﴿فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب ، وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم ، وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله ان يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا اصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال رسول الله ﷺ «قل يا أبا الوليد أسمع» قال ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى نكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه او كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال «أفرغت يا ابا الوليد ؟» قال نعم . قال «فاستمع مني» قال افعل . قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه . فلما سمع عتبة انصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال «قد سمعت ياأبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله ، والله اعلم .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد والارباب المتفرقين إنما الله إله واحد ﴿فاستقيموا إليه﴾ أي أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل ﴿واستغفروه﴾ أي لسالف الذنوب ﴿وويل للمشركين﴾ اي دمار لهم وهلاك عليهم ﴿الذين

لا يؤتون الزكاة﴾قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى : ﴿قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها﴾ وكقوله جلت عظمته ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ وقوله عز وجل ﴿فقل هل لك الى ان تزكى ؟﴾ والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقاً الى استعماله في الطاعات ، وقال السدي ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي يؤدون الزكاة، وقال معاوية بن قرة ليس هم من اهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لأن ايجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة الى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم الا ان يقال لا يبعد ان يكون اصل الصدقة والزكاة وكان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعاً بين القولين كما ان اصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة فلما كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً والله اعلم . ثم قال جل جلاله بعد ذلك ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون﴾ قال مجاهد وغيره : غير مقطوع ولا محبوب كقوله تعالى : ﴿ماكثين فيها ابداً﴾ وكقوله عز وجل ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ وقال السدي غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فإن المنة لله تعالى على اهل الجنة قال الله تبارك وتعالى : ﴿بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان﴾ وقال اهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم، وقال رسول الله ﷺ «إلا يتغمدني الله برحمة منه وفضل» .

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقتدر على كل شيء فقال ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً﴾ أي نظراء وأمثالاً تعبدونها معه ﴿ذلك رب العالمين﴾ أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم . وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى : ﴿خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل ﴿وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ الآية فأما قوله تعالى : ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * اخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال ارساها * متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه فإنه قال : وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي ، قال ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فقد كتموا في هذه الآية ، وقال تعالى : ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ـ إلى قوله ـ والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض وفي يومين ـ إلى قوله ـ طائعين﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء قال ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ﴿عزيزاً حكيماً﴾ ﴿سميعاً بصيراً﴾ فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ في النفخة الاولى ، ثم نفخ في الصور ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم في النفخة الأخرى ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ واما قوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ فإن الله تعالى يغفر لأهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك يعرف ان الله تعالى لا يكتم حديثاً ، وعنده ﴿يود الذين كفروا﴾

الآية ، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله ﴿خلق الأرض في يومين﴾ فخلق الأرض وما فيها من شيء في اربعة ايام وخلق السموات في يومين ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله تعالى لم يرد شيئاً الا أصاب به الذي أراد فلا يختلفن عليك القرآن فإن كلا من عند الله عز وجل . قال البخاري حدثنيه يوسف ابن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن ابي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله ﴿خلق الأرض في يومين﴾ يعني يوم الأحد ويوم الاثنين ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾ أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها اليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال ﴿في أربعة ايام سواء للسائلين﴾ أي لمن أراد لسؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ جعل كل ارض ما لا يصلح في غيرها ومنه العصب باليمن والسابوري بسابور والطيالسة بالري وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى : ﴿سواء للسائلين﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة الى رزق أو حاجة فان الله تعالى قدر له ما هو محتاج اليه وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى : ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ والله أعلم وقوله تبارك وتعالى : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ قال : قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقمري والنجوم وقال للأرض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك ﴿قالتا اتينا طائعين﴾ واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعاً مطيعين لك ، حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلاً لمن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذاباً يجدان ألمه رواه ابن أبي حاتم ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ أي ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ أي ورتب مقرراً في كل سماء ما تحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض ﴿وحفظاً﴾ أي حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أي العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد : قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض فقال ﷺ «خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة ايام سواء للسائلين﴾ لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية القى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة» ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال «ثم استوى على العرش» قالوا قد أصبت لو أتممت ، قالوا ثم استراح ، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزل ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر على ما يقولون﴾ هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال «خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل» فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ أي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ﴾ أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله اليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أولياءه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ أي لو أرسل الله رسلاً لكانوا ملائكة من عنده ﴿ فإنا بما أرسلتم به ﴾ أي أيها البشر ﴿ كافرون ﴾ أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض ﴾ أي بغوا وعتوا وعصوا ﴿ قالوا من أشد منا قوة ؟ ﴾ أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وأن بطشه شديد كما قال عز وجل ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلهذا قال ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ قال بعضهم وهي شديدة الهبوب ، وقيل الباردة . وقيل هي التي لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فإنها كانت ريحاً شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جداً كقوله تعالى : ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾ اي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصراً لقوة صوت جريه . وقوله تعالى ﴿ في أيام نحسات ﴾ أي متتابعات ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾ وكقوله ﴿ في يوم نحس مستمر ﴾ اي ابتدأوا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾ حتى ابادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ أي أشد خزياً لهم ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ أي في الآخرة كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال ، وقوله عز وجل ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد : بينا لهم ، وقال الثوري دعوناهم ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ أي بصرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ اي من التكذيب والجحود ﴿ ونجينا الذين آمنوا ﴾ أي من بين اظهرهم لم يمسهم سوء ولا ناالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم بتقواهم لله عز وجل .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا

مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون الى النار يوزعون اي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ أي عطاشا . وقوله عز وجل : ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ اي وقفوا عليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ أي لاموا اعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك اجابتهم الأعضاء ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة ﴾ أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال ﷺ « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت ، » قالوا يا رسول الله عن أي شيء ضحكت ؟ قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول اي ربي أليس وعدتني ان لا تظلمني ، قال بلى فيقول فإني لا اقبل علي شاهداً إلا من نفسي فيقول الله تبارك وتعالى أو ليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين ـ قال ـ فيردد هذا الكلام مراراً ـ قال ـ فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل ، فيقول بعداً لكن وسحقاً ، عنكن كنت اجادل » ثم رواه هو وابن ابي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن انس رضي الله عنه غير الشعبي وقد اخرجه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر بن ابي النضر عن ابي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به ، ثم قال النسائي لا أعلم أحداً رواه عن الثوري غير الأشجعي وليس كما قال كما رأيت والله اعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا أسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة : قال أبو موسى : ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد ويقول اي رب وعزتك لقد كتب عليَّ هذا الملك ما لم اعمل فيقول له الملك اما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فإذا فعل ذلك ختم على فيه ، قال الأشعري رضي الله عنه فاني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن عن ابن لهيعة قال دراج عن أبي الليث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم السنتهم ويدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال : سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لابن الازرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على افواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول ﴿ أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ فتقر الألسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي ، عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلاً جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لأرابه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا . وقد تقدم احاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس ﴿ اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ بما اغنى عن اعادته ههنا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت الى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف امري

وامرك عنده غداً ؟ قال يقول رسول الله ﷺ « صدقت صدقت كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون انه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى : ﴿ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ اي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم ان الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم ﴿ فأصبحوا من الخاسرين ﴾ أي في مواقف القيامة خسرتم انفسكم وأهليكم . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان ـ أو ثقفي وختناه قرشيان ـ كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئاً سمعه كله ـ قال ـ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ـ إلى قوله ـ من الخاسرين ﴾ وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه ، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضاً من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ، ورواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث السفيانين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ قال « إنكم تدعون يوم القيامة مفدماً على أفواهكم بالفدام فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه » قال معمر : وتلا الحسن ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ ثم قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى انا مع عبدي عند ظنه بي وانا معه إذا دعاني » ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال : ألا انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ـ إلى قوله ـ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن ابي ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموتن احد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات . قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى : ﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي يسألوا الرجعة الى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

يذكر تعالى انه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن ﴿ فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ﴾ اي حسنوا لهم اعمالهم في الماضي وبالنسبة الى المستقبل

فلم يروا انفسهم إلا محسنين كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي كلمة العذاب كما حق على امم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أي استووا هم وإياهم في الخسار والدمار . وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره ﴿ والغوا فيه ﴾ أي إذا تلي لا تسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ والغوا فيه ﴾ عيبوه ، وقال قتادة اجحدوا به وانكروه وعادوه ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ثم قال عز وجل منتصراً للقرآن ومنتقماً ممن عاداه من اهل الكفران ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ أي في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعهم ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي بشر اعمالهم وسيء افعالهم ﴿ ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ﴾ قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن ابيه عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ اللذين اضلانا ﴾ قال إبليس وابن آدم الذي قتل اخاه . وهكذا روى العوفي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . وقال السدي عن علي رضي الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فإبليس الداعي الى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث « ما قتلت نفس ظلماً الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه اول من سن القتل » . وقولهم ﴿ نجعلهما تحت اقدامنا ﴾ أي اسفل منا في العذاب ليكونا اشد عذاباً منا ولهذا قالوا ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ أي في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الاعراف في سؤال الاتباع من الله تعالى ان يعذب قادتهم اضعاف عذابهم ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي انه تعالى قد اعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري حدثنا سهيل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه الفلاس به . ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً ثم روي من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما تقولون في هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال فقالوا ﴿ ربنا الله ثم استقاموا ﴾ من ذنب فقال لقد حملتموه على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني أخبرنا حفص بن عمر العقدي عن الحكم بن ابان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله . وقال الزهري : تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على أداء فرائضه ، وكذا قال

قتادة : قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية ﴿ ثم استقاموا ﴾ أخلصوا له الدين والعمل .

وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه احداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت فما اتقي ؟ فأومأ الى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به . ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال ﷺ « قل ربي الله ثم استقم » قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال « هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجة من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث . وقوله تعالى : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال مجاهد والسدي وزيد بن اسلم وابنه يعني عند الموت قائلين ﴿ أن لا تخافوا ﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فانا نحلفكم فيه ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان » وقيل إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾ فوقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ قال فيضمن من الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة الا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا اولياءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى جنات النعيم ﴿ ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ﴾ اي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون ﴿ ولكم فيها ما تدعون ﴾ أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿ نزلاً من غفور رحيم ﴾ أي ضيافة وعطاء وانعاماً من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم ﴾ فقال حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد حدثنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيها سوق ؟ فقال نعم أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها ونزلوا بفضل اعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس ادناهم وما فيهم دنيء على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً . قال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ، قال ﷺ « نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر » قلنا لا ؛ قال ﷺ «فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا ـ فيقول أي رب أفلم تغفر لي ، فيقول بلى ، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه ـ قال ـ فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ـ قال ـ ثم يقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم ، قال فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك

لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً بحبيبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به » وقد رواه الترمذي في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قلنا يا رسول الله : كلنا نكره الموت قال ﷺ « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شيء أحب اليه من ان يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه - قال - وان الفاجر - أو الكافر - إذا حضر جاءه بما هو صائر اليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

يقول عز وجل ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله** ﴾ اي دعا عباد الله اليه ﴿ **وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين** ﴾ أي هو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت في صحيح مسلم « المؤذنون اطول الناس اعناقاً يوم القيامة » وفي السنن مرفوعاً « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الائمة وغفر للمؤذنين » وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن الهروي حدثنا غسان قاضي هراة وقال ابو زرعة حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال « سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والاقامة كالمتشحط في سبيل الله تعالى في دمه » قال : وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت ان لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو كنت مؤذناً لكمل أمري وما باليت أن لا انتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اغفر للمؤذنين » ثلاثاً ، قال : فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف قال ﷺ « كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعافهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضي الله عنها ولهم هذه الآية ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين** ﴾ قالت فهو المؤذن اذا قال حي على الصلاة فقد دعا الى الله وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة إنها نزلت في المؤذنين وقد ذكر البغوي عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه انه قال في قوله عز وجل وعمل صالحاً يعني صلاة ركعتين بين الأذان والاقامة . ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بين كل أذانين - صلاة - ثم قال في الثالثة - لمن شاء » وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثوري عن زيد العمي عن ابي إياس معاوية بن قرة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال الثوري لا أراه إلا قد رفعه إلى النبي ﷺ « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة » ورواه ابو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثوري به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، ورواه النسائي ايضاً من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن انس به . والصحيح ان الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم فأما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامه فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فانه أندى صوتا كما هو مقرر في موضعه فالصحيح اذن أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري انه تلا هذه الآية ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب اهل الارض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما اجاب الله فيه من دعوته وعمل

صالحاً في اجابته وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ اي فرق عظيم بين هذه وهذه ﴿ ادفع بالتي هي احسن ﴾ اي من اساء إليك فادفعه عنك بالاحسان إليه كما قال عمر رضي الله عنه : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه . وقوله عز وجل ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ وهو الصديق إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان اليك ، ثم قال عز وجل ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا ﴾ اي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها الا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس ﴿ وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ﴾ اي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة ، قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : امر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم . وقوله تعالى ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ أي إن شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فأما شيطان الجن فانه لا حيلة فيه اذا وسوس الا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله والتجأت اليه كفه عنك ورد كيده ، وقد كان رسول الله ﷺ اذا قام إلى الصلاة يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وقد قدمنا ان هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الاعراف عند قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ وفي سورة المؤمنين عند قوله ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى منبهاً خلقه على قدرته وانه الذي لا نظيره له على ما يشاء قادر ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ أي انه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس نورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازله في فلكه واختلاف سيره في سمائه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات . ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر ان يشرك به ولهذا قال تعالى : ﴿ فان استكبروا ﴾ اي عن إفراد العبادة له وابوا إلا ان يشركوا معه غيره ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ كقوله عز وجل ﴿ فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعني ابن وكيع حدثنا ابي عن ابن ابي ليلى عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم » . وقوله ﴿ ومن آياته ﴾ اي على قدرته على اعادة الموتى ﴿ أنك ترى الارض خاشعة ﴾ اي هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أي أخرجت من جميع الوان الزروع والثمار ﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا ﴾ قال ابن عباس : الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد ، وقوله عز وجل ﴿ ولا يخفون علينا ﴾ فيه تهديد شديد ووعيد أكيد أي إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى : ﴿ أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟ ﴾ أي أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديداً للكفرة ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ وعيد اي من خير او شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ ثم قال جل جلاله ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ قال الضحاك والسدي وقتادة وهو القرآن ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ اي منيع الجناب لا يرام أن يأتي أحد بمثله ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمد اي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل ﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ قال قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على اذى قومهم فاصبر أنت على اذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن ابي حاتم غيره وقوله تعالى : ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ اي لمن تاب اليه ﴿ وذو عقاب اليم ﴾ اي لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته ، قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآية ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد » .

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على ان كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل ﴿ ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد ﴿ لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ﴾ اي لقالوا هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي اي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه ؟ هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ؟ وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي اي هل انزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي ؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ ثم قال عز وجل ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ اي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ﴿ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ أي لا يفهمون ما فيه ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ اي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ ﴿ اولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول ، وقلت وهذا كقوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم . وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً عند رجل من المسلمين يقضي اذ قال : يا لبيكاه فقال له عمر رضي الله عنه لم تلبي ، هل رأيت أحداً أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال

عمر رضي الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن ابي حاتم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ اي كذب واوذي ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى ﴾ بتأخير الحساب إلى يوم المعاد ﴿ لقضي بينهم ﴾ اي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ﴿ وإنهم لفي شك منه مريب ﴾ اي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه ، هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل ، والله أعلم .

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ اي انما يرجع وبال ذلك عليه ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ اي لا يعاقب احداً إلا بذنبه ولا يعذب احداً الا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول اليه ثم قال جل وعلا ﴿ اليه يرد عليمُ الساعة ﴾ اي لا يعلم ذلك احد سواه كما قال محمد ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ وقال جل جلاله ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ قوله تبارك وتعالى : ﴿ وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ﴾ اي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ وقال جلت عظمته : ﴿ يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ ويوم يناديهم اين شركائي ؟ ﴾ اي يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق اين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿ قالوا آذناك ﴾ اي اعلمناك ﴿ ما منا من شهيد ﴾ اي ليس احد منا يشهد اليوم ان معك شريكاً ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ اي ذهبوا فلم ينفعوهم ﴿ وظنوا ما لهم من محيص ﴾ أي وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين ﴿ ما لهم من محيص ﴾ أي لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا . ﴾

لَا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالى لا يمل الانسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك فإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر ﴿ فيئوس قنوط ﴾ أي يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي إني كنت أستحقه عند ربي ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي يكفر بقيام الساعة أي لأجل أنه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى : ﴿ كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى ﴾ ﴿ ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ أي ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلى ربي كما أحسن إلي في هذه الدار ، يتمنى على الله عز وجل مع اساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من

عذاب غليظ ﴾ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى : ﴿ واذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ أي أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله ﴿ فتولى بركنه ﴾ ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي الشدة ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أي يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل وقد قال تعالى : ﴿ وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه ﴾ الآية .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن ﴿ أرأيتم إن كان ﴾ هذا القرآن ﴿ من عند الله ثم كفرتم به ؟ ﴾ اي كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله ؟ ولهذا قال عز وجل ﴿ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ؟ ﴾ أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلا من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية ﴿ في الآفاق ﴾ من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في انفسهم قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعداها كما انشده ابن ابي الدنيا في كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه ابي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال :

واذا نظرت تريد معتبرا	فانظر إليك ففيك معتبر
أنت الذي تمسي وتصبح في	الدنيا وكل أموره عبر
أنت المصرف كان في صغر	ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذي تنعاه خلقته	ينعاه منه الشعر والبشر
أنت الذي تعطي وتسلب لا	ينجيه من أن يسلب الحذر
أنت الذي لا شيء منه له	وأحق منه بما له القدر

وقوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ﴾ اي كفى بالله شهيدا على افعال عباده واقوالهم وهو يشهد أن محمداً ﷺ صادق فيما أخبر به عنه كما قال ﴿ ولكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ اي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبأون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن ابي الدنيا حدثنا احمد بن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الأنصاري قال : إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لأمر احدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الامر احمق والمكذب به هالك ، ثم نزل . ومعنى قوله رضي الله عنه ان المصدق به احمق اي لأنه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه فهو احمق بهذا الاعتبار والاحمق في اللغة ضعيف العقل ، وقوله والمكذب به هالك هذا واضح ، والله اعلم . ثم قال تعالى مقررا انه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى : ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله الا هو .